OPEN ACCESS
This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

أشهر الرحلات فی العصر الإسلامی

راحیله خالد
الأستاذة ورئیسة قسم اللغة العربیة بالجامعة الإسلامیة ، بهاولبور
حسینه گلزار
الباحثة الدکتوراة ، بقسم اللغة العربیة ، الجامعة الإسلامیة ، بهاولبور
Raheela Khalid **Email:** raheela.khalid@iub.edu.pk
Professor and Head of Arabic Language Department, Islamia University, Bahawalpur
Haseena Gulzar **Email:** haseena.gulzar@iub.edu.pk
PhD Scholar, Department of Arabic Language, Islamia University, Bahawalpur

Abstract:
"Ancient Arabs are very well known for their travels in pre Islamic era. Books of Arab history narrate in detail about the journeys Arabs frequently made towards other countries or cities of Arab itself mainly for the purpose of trade. Holy Quran has also pointed it out in Surah Al Quraish. Travelling had been in fact, a part of their culture as they used to travel from one part of their country or city to other they shifted from one place to other within city to make the both ends meet by food (Grass) and water source.
In the following lines of research paper, famous travels of Arabs, the places which they visited during their journeys and the purposes of their journeys are discussed in detail."

Key Words:
Trade, Travelling, Frequent, Al-Quraish

Receive Date: 16-02-2023
Accept Date: 24-02-2023
Published Date: 30-06-2023

إنّ الأدب العربی من أهم آداب الأمم الذی تنعکس تمدنها ، حضارتها ومستوی العیش لها وبلغت علی قمتها فی العصر العباسی الزاخر وظهرت فیها فنون کثیرة مثل الرسالة والکتابة والمقامة والموشح وشاع فیه أدب الرحلة۔

فالشعب العربی کان مفطوراً علی حبّ الرحلة والسفر منذ نشأته کما نجد فی التاریخ أخباراً متوارة عن تنقله وأسفاره فی سبیل الرزق والتجارة والمعرفة ۔ فلمّا جاء الإسلام اندفع الشعب العربی إلی خارج الجزیرة، وکثر التألیف فی المسالک والممالک وظهرت کتب الجغرافیة وامتاز هذا النوع من الأدب لأنها یرتبط جمیع علوم البیئة ارتباطاً وثیقاً واستفاد بها المؤرخون والجغرافیون وغیرهم۔

الرحلة لغة واصطلاحاً

الرحلة فی اللغة ''الترحیل والإرتحال'' بمعنی ''الأشخاص والإذعاج'' یقال رحل الرجل إذا سار(۱)

فالرحلة هنا بمعنی السیر والضرب فی الأرض ''والإرتحال'' بمعنی الإنتقال من مکان إلی مکانٍ آخر، ویقول العرب رحل البعیر یرحله رحلاً ، فهو مرحول ورحیل، وارتحله، جعل علیه الرحل، قال الأعشی:

رحلت سمیة غدوة أجمالها غضی علیک فما تقول بداها(۲)

وقیل ناقة رحیلة أی شدیدة قویة علی السیر وجری المنطق (۳)

و قیل: ''ارتحل القوم عن المکان ارتحالاً'' قال رحلت من أقصی بلاد الرحل (۴)

وقال ایضاً ویرحل الثیب عن دار یحل بها(۵)

و وردت هذه الکلمة بمعنی الجهة التی یقصد هاالإنسان للرحلة والإرتحال والرحلة بالضم الوجه الذی تأخذ فیه وتریده ، تقول:(۶)

أنتم رحلتی أی الذین ارتحل إلیهم ۔

کما تطلق کلمة الرحلة أیضاً علی''السفرة الواحدة''(۷) ومنه أخذ لفظ ''الرحیل'' والرحیل إسم ارتحال القوم المسیر : قال:(۸)

''أماالرحیل فدون بعد غد۔''

ومنها أخذ لفظ رحّال وهو الشخص المنتقل من مکان إلی آخر ، فالرحال صفة مشتقة من الفعل الذی قام به وهو الرحلة ۔

''والشخص الذی قام بالرحلة وانتقل من موطنه إلی آخر متجهاً إلی جهة غیرموطنه وسار إلیها۔''

الرّحلة اصطلاحاً

''کل رحلة تحرک هادف واختیار مؤکد حتی لو ضربت فی ظلمة المجهول وتخبطت علی الطریق وصولاً إلی الهدف۔''(۹)

تذكرة الرحلات فى القرآن الكريم

إنّ الإسلام دين حضارى متنور ودولة منفتحة، ولأن التحضر والتفتح يكفل التقدم ويؤمن حركة الحياة ويدعمها ،ويبشرها بحياة أفضل ، فلقد امسك المسلمون بزمام الرحلة وتحمسوا لها[۱۰] وإن الإسلام حثه على فعلها سواء كانت للعلم أو الهجرة من

أرض الشرك إلى أرض الإسلام أو الحج أو الكسب أو الرزق أو التجارة۔

ومن أوثق وأصدق مصادرنا الإسلامية حفل القرآن الكريم بالأمثلة العديدة لكل نوع من الرحلات من عدم ورد لفظ رحلة بنفسها إلّا مرّة واحدة وهو فى سورة قريش۔[۱۱]

''لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ♦ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ♦ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ♦ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ♦''

فهذه هى صورة جديدة أفردت فيها الحديث للرحلة بكامل وهى رحلة قريش تجارية وأظهرت هٰذه السورة بوضوح رحلتى العرب إلى بلاد الشام واليمن والّتى جنت منهما أرباحاً طائلة أنعكست آثارها على أوضاعها الإقتصادية ، وغدت ذات مركز مالى كطير فى الحجاز وسوقاً لتبادل السلع، ولم يكن هدفها من الإستيراد الإكتفاء الذاتى فقط، بل قامت بتصدير الفائض عن حاجتها إلى أطراف السواحل الجنوبية لشبه الجزيرة العربية والشام واليمن والسواحل الأفريقية المقابلة، حيث بلغت أحمال كل قافلة لتلك الجهات أكثر من ألف بعيراً۔[۱۲]

وأكثر تجارها من سدنة وأهل بيت الله الحرام الذى زادت مهابته فى نفوس الناس عقب حادثة الفيل وبالمنّ الّذى منّ الله عليهم كما جاءت فى سورة قريش۔[۱۳]

وأما للمنطق التجارة وردت معنى الرحلة من سورة ابراهيم كما قال الله تعالىٰ على لسان خليله ابراهيم عليه السلام۔[۱۴]

''رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ''

نجد فى القرآن الكريم كلمة ''سفر'' بمعنى رحلة فى طلب العلم كما ذكر قصة موسى مع خضر عليهما السلام فى سورة الكهف[۱۵]

''وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ♦ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ♦ ۔۔۔ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ♦''

فموسى عليه السلام بالرغم من بلوغه تلك المرتبة العالمية عند الله تعالىٰ واختصاصه بكلام الله تعالىٰ يرحل اصرار على لقاء العبد الصالح بعض النظرة عن المسافة والمشقة وطالباً بأدب وسائلاً إيّاه، أن يعلمه مما علّمه الله تعالىٰ واشتراطه بعدم الاستفسار مما يراه مخالفاً لشريعته مقابل ذلك يفسر له ما غمض عليه ويمضى السرد القرآنى إلى أن يفترق۔(۱۶)

ومن الآيات الواردة نستنتج أن الإستزادة من العلم واجبة على الإنسان ، وأن الإستزادة فى العلم يتطلب البحث والإنتقال يطلبه عن مكان إلى مكان آخر أو من بلد إلى بلد آخر۔

وكما أن القرآن الكريم يحثّ على الرحلات الإستكشافية ووضع مدبر الكون فى الإنسان دافع للإستكشاف كل ما حوله والإستفادة منه فى معرفة عظمة الخالق(۱۷)

''وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ''(۱۸)

ومن أهم دوافع الرحلات عند المسلمين هو تأدية فريضة الحج كما قال الله تعالىٰ:(۱۹)

''وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ''

ولو كان حج بيت الله الحرام قديمة منذ أيام خليل عليه السلام ولكن لمّا جاء الإسلام فألزمهم به مرة للقادر على ذلك قال الله تعالىٰ (۲۰)

''وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ۔''

وكره المسلمون التجارة وأقامة الأسواق فى موسم الحج فأنزل الله تعالىٰ الآية وقرنت الحج بالتجارة فقال:(۲۱)

''لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ۔''

لقد كانت المهارة التامة للعرب فى التجارة قبل الإسلام و اتسع نطاقهم بعد مجئ الإسلام تبعاً لإتّساع دولتهم و حثّه الله تعالىٰ فى القرآن الكريم :(۲۲)

''رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا۔''

تذكرة الرحلات فى الحديث النبوى

أما كلمة الرحلة من ناحية الحديث النبوى فقد جاء فى معنى عديدة وفى الحديث أن النبى ﷺ سجد فركبه الحسن فأبطأ فى سجوده فلما فرغ فسئل عنه فقال:

''وإبنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله أى جعلنى كالراحلة فركب على ظهرى۔''

وفى حديث إبن مسعودؓ ''إنما هو رحل أو سرج فرحل إلى بيت الله ، وسرج فى سبيل الله۔'' ووردت هذه الكلمة فى حديث الرسول الآخر بمعنى آخر ، فقال النبىﷺ :۔

''تجدون النّاس بعدى كأبل مائة ليس فيهما راحلة'' فالرحلة هنا نادرة فى الإبل الكثيرة(۲۳) فنحن هناك معنى للشئ التحرك أى ينتقل من مكان إلى آخر فنحن نجد أحاديث متعدة يدلّ على الرحلة فى سبيل العلم، والمعرفة فالصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم التابعون والعلماء وبعض الخلفاء المسلمين يستشهدون بأحاديث الرسول الخاصة على العلم وفضله.(۲۴)

وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(۲۵)

(سيأتيكم أقوام يطلبون العلم فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحباً)۔

وعن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(۲۶)

(من جاء فى مسجد ى هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلّمه فهو بمنزلة المجاهد فى سبيل الله ومن جاء لغير ذلک فهو بمنزلة الرجل ينتظر إلى متاع غيره).

إنّ الصّحابة ومن بعدهم التابعون أكبواعلى العلم ينهلون منه ورحلوا للأخذ إلى المدارس المنتشرة فى الأقطار الإسلامية وغيرها والتى يمثلها العلماء الموجودون بها بعد أن استقروا بها كما خرج جابر بن عبد الله إبن أنيس فى طلب حديث المظالم فرحل إليه حتى قدم عليه الشام وسعى منه ثم انثنى عائداً(۲۷)

أشهر الرّحلات فى العصر الجاهلى

كان العرب الشمال يعيشون حياة بدوية ليس لهم نظام حياة اجتماعية فإنّهم يرتحلون فى طلب الماء ولكن بعد واقعة سيل ارم كان التجارة ينتقل إلى شمال العرب وخاصة قبيلة قريش فأنهم يذهبون لغرض التجارة إلى الأقطار البعيدة ۔ وقد ورد تذكرة أسفارهم ورحلاتهم إلى الشام واليمن فى الشتاء والصيف فى سورة'' القريش ''إذ قال الله تعالىٰ ''لإيلاف قريش ۔۔۔۔ الخ ، التى ظهرت منهما آثاراً شائعة على أوضاعها الإقتصادية وكماأننا وجدنا

الشاعر الجاهلي إمرأالقيس الّذى رحل إلى قسطنطنية للإستعانة ضدّ أعدائه كما وجدنا أن صحابي الرسول ﷺ عمرو بن العاص رضی اللہ عنہ سافر إلى مصر لغرض التجارة أكثر مرّة قبل الإسلام۔

الإسلام وإهتمام الرحلة فى الكشف الجغرافى

إنّ الإسلام يحثّ على الاستكشافات الجديدة فالمسلمون لاتمسك بزمام الرحلة وتحمسو لها فقط بل التهب نشاط الرحلة الإسلامية ، فى أطار اهتمام رشيد مطمئن وتحولات تبشر بحياة أفضل وحصادٍ وفيرٍ ۔

ونالت الرحلة الإسلامية حقها الكامل فى الإهتمام والأمان من ناحية ، واستحقاقها الفعال من قوة الدفع والحوافر على الطريق فى البر والبحر من ناحية أخرى وواصل نفر نشيط من المسلمين أصحاب الخبرة فى الرحلة ليؤدى دورهم الوظيفى أمسك المسلمون بزمام الفكر الجغرافى والتهب هذا التفكير الإسلامى الجغرافى فى إطار اهتمام رشيد وتحولات ، كما عكف بعض المسلمين على الفكر الجغرافى القديم المهجور ، وعملوا على استيعابه وإحيائه ، قبل أن تكون الإضافة المجادلة إليه.(۲۸)

الرحلات فى العصر الإسلامى

نجد الرحلات المتنوعة التى ورثها المسلمون ضمن الشركة الحضارة الإسلامية آلت عليهم فى الحضارة السابقة وهى رحلة التجارة ورحلة الجهاد ورحلة السفارة ، ولكن الإسلام أضاف فيها ثلاث رحلات جديدة القائمة الرحلات المتنوعة التى تلبى أوتجاويب جهات الحياة وتنوعها وتمثلت هذه الإضافة التى عن مبلغ تنشيط الرحلة فى هؤلاء الثلاثة الرحلات :

۱۔ رحلة الحج ۲۔ رحلة طلب العلم

۳۔ رحلة التجول والطوائف(۲۹)

رحلة الإسراء والمعراج

من بداية الرحلات فى الإسلام وأشهر ها رحلة الإسراء والمعراج لا نظير له فى التاريخ فهى من أسرع الرحلات فى تاريخ العالم۔ قال الله تعالىٰ فى القرآن الكريم :(۳۰)

''سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ''

وأسرى بعبده هناك معناه سير عبده وأسريت إذا سرت ليلاً(۳۱)

إن حادثة الإسراء ثابتة متواترة منذ حدوثها فقد سيره سبحانه وتعالىٰ ليلاً إلى المسجد الأقصى وسمّى الأقصى لبعده عن المسجد الحرام فهو لا يبلغ إلا برحلة وراحلة۔

وقال المفسّرون إنّما قال ليلاً بلفظ التّنكير لتقليل مدة الإسراء ، وإنّه أراد به المسافات الشاسعة البعيدة فی جزء من الليل وكانت مسيرة أربعين ليلة[۳۲] وغرض هذه الرحلة رؤية آيات الله تعالىٰ والوقوف عليها ۔

رحلة النبی ﷺ إلى الطائف

من بداية الرحلات فی العصر الإسلامی رحلة النبی إلى الطائف يدعو إلى الإسلام ثقيفاً ، بعد أن آذاه آهاليها ، فلم يجيبوه وأخذالنبی ﷺ فی الرجوع إلى مكة محزون القلب لأنه لم يحقق مما كان يبغيه من رحلته .[۳۳]

رحلة من أرض الشرک (من مكة إلى المدينة)

فهذه رحلات حدثت فی وقت مبكر من الدعوة فلما كثر المسلمون واشتد العذاب والبلاء عليهم من الكفار أذن الله تعالىٰ للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة[۳۴]

قال لهم رسول الله ﷺ: [۳۵]

(لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملک لا يظلم عنده أحد، وهی أرض صدق حتى يجعل الله فرجا مما أنتم فيه)

وأرض الحبشة تقع فی غربی مكة ، وبين البلدين صحاری السودان والبحر الأخذ من اليمن إلى القلزم[۳۶] فمنهم مَن خَرَ ج وحيداً ومنهُم مَن خَرَج بأَهلِه، فكان الجميع من لحق بأرض الحبشة وهَاجَر إلَيها من المسلمين ثلاثة وثمانين رجلاً وثمانی عشرة إمرأة[۳۷] ومنهم رحلة مصعب بن عمير رضی الله عنه عقب بيعة العقبة الأولىٰ إلى المدينة المنورة مع وفد العقبة ليدرّسهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم الدين[۳۸]

رحلات الوفود لإعتناق الإسلام

بعد استقرار الرّسول ﷺ بالمدينة المنوّرة وانتشار دعوته بين القبائل العربية قدمت عليه الوفود راغبة فی اعتناق الإسلام، ومنها وفد عبد القيس حيث أرشد هم لتعاليم الدين الإسلامی الصحيح، وكانو يجدون المشقة فی القدوم عليه لحيلُولة قوم من الكفّار بين ديارهم والمدينة ، فأجابهم ماسألوه فی الشئوون الدينية ليكونو دعاة الدين الإسلامی لقبيلتهم

والقبائل المُجاورة لهم[۳۹] فمنهم من يأتي وحيداً ويكون سبباً في الإسلام قومه مثل ضمام بن ثعلبة[۴۰]

الرّحلات لفهم التعليم والقواعد

من أغراض الرحلة في بداية عهد النبيﷺ هو فَهم ومعرفة في مبادئ الدين والقواعد ومنها رحلة أبي ذر الغفاري إلى مكة المكرمة أبان مبعثه للتثبيت مما يدعو إليه أكبّو بعد هٰؤلاء الصحابة ومن بعدهم من التابعين إلى الرحلات لفهم التعاليم الإسلامية۔

ورحلوا للأخذ من المدارس المنتشرة في الأقطار الإسلامية والتي يمثلها العلماء الموجودون بها بعد أن استقروا بها مثل إبن جيش يخرج للقاء صفوان بن عسال المرادي ليأخذ عنه، فيسأل عنه صفوان، ماجاء بك؟ قال انبط العلم، وسنجد غيرها رحلات متوفرة للتعليم الدين والقواعد مثل رحلة إمام بخاريؒ وإمام مسلمؒ وغيرهما رجال الدّين.[۴۱]

رحلات متجسّسين

وجد هذا النوع من الرحلات منذ بدء الإسلام ، وتنوّعت أغراضها أثناء حياة الرسولﷺ فمنها ماكان بغرض التجسّس على الأعداء مثلما حدث في غزوة بدر حين بعث الرسولﷺ علي بن أبي طالبؓ والزبير بن عوامؓ وسعد بن أبي وقاصؓ في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر[۴۲] عرفت الدولة الإسلامية نظام الجواسيس لمعرفة خطط المشركين ضدها ، وأول من أوكل له القيام بهذا العمل هو عبد الله بن أبو بكر الصديقؓ فقد أمره أبوبكر بالتحدري عن أقوال قريش فيه وفي رسول اللهﷺ نهاراً ويأتيه بالأخبار ليلاً في غار ثور عند هجرتهما إلى المدينة.[۴۳]

واستمرّ هذا النوع من الرحلات الاستكشافية في عهد الخلفاء الراشدين ومن تلاهم من الخلفاء الرّاشدين ومثال على ذلك ما حدث في معركة القادسية حيث بعث مَن بَعث ومن بُعِث كاشفاً إلى الحيرة فأتاه الخبر بأن الملك قد أمر على الحرب رستم بن الفرخزاد الأرمني وأمدّه بالعسكر.[۴۴]

رحلات لمراجعة الأحاديث النبوية

لم تنقطع سلسلة الرحلات بعد وفاة النّبيﷺ لتفرّق الصحابة في البلدان المفتوحة بل كثرت رحلاتهم لمراجعة الأحاديث النبوية خشية نسيانها وحفظها عليها ومن أمثلة هذه الرحلات رحلة جابر بن عبد الله ،عبدالله بن أنيس ورحلة أبي أيوب لعقبة بن عامر، وقد رحل

االتابعيون أيضاً لطلب الحديث حتى لضبط حرف منه[۴۵] ومنها ما قدم البخارى إلى البصرة فطلبوا منه أن يعقد لهم مجلسا للإملاء فأجابهم وحدّد لهم موعد المجلس الذى حضره جمع غفير من الفقهاء والمحدثين والحفّاظ والنظّار، حدثهم فيه بأحاديث ليست عندهم بالأسانيد التى ذكرها.[۴۶]

وقال البخارى عن نفسه معبّراً عن رحلاته الكثيرة قائلاً:

''دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرّتين وإلى البصرة أربع مرّات، وأقمت بالحجاز ستّة أعوام، ولا أحصى كم مرّة دخلت الكوفة وبغداد مع المحدِّثين.''[۴۷]

رحلات التّجار

لم تكن رحلات المسلمين مقتصرة على الناحية العلمية التى حظيت بالنصيب الوافر، بل كان للتجارة دور كبير، خاصة أن سلاطين المسلمين التجارية أخذت تجوب جميع البحار فليست رحلاتها قاصرة على المناطق الإسلامية وصلت إلى المناطق شاسعة فى الهند والصين والبلدان الأوربية وغدالمسلمون بفضل نشاطهم البحرى ذوى شهرة كبيرة وأصحاب ثروة هائلة[۴۸]

وقد أسهمت رحلات التّجار إلى تلك المناطق النالية فى معرفة الكثير من أحوالها ومن أشهر التّجار فى هذا المجال سليمان السيرافى وإبن وهب القرشى، وقد أفاض المسعودى فى سرد رحلة إبن وهب القرشى الّتى نقلهاعن زيد الحسن السيرافى[۴۹] ومع الأسف لم يكن شائعاً فى ذلك الوقت مدوّناً تلك المعلومات فى كتب معروفة، بل عرفت عن طريق أصدقاء الرحلة من معاصريه، أو من خلال الأجيال التى تناقلها بعد ذلك، وقد شكلت تلك المعلومات مادة علمية غزيرة استطاع المؤرّخون الأوائل الإستفاذة منها فى كتاباتهم أنّ تلك البلدان سواء فى النواحى السياسية أو الحضارية وللدلالة على ذلك ما أورده المسعودى من خبر رحلته أحد التجار سمرقند إلى الصين وما لحقه من ظلم فى مدينة خانقو من جانب الضرائب فما كان منه إلا أن رفع مظلمته إلى ملك الصين فأنصفه.[۵۰]

فيمكن بإنتقال التجار قيم نوع من الرحلات، وهى الرحلات الجغرافية لوصف الطرق المؤدية إلى البلدان المفتوحة وصف أحوالها حيث اقتضت مصلحة الدولة ذلك[۵۱] فقد موا وصفاً جغرافياً دقيقاً لها ومن أمثلة هٰؤلاء إبن فردازبه۔

وقد اعتمد الجغرافيون فى تصانيفهم على الوصف والمشاهدة والملاحظة فنمت معارفهم الجغرافية، وأصبحت مؤلّفاتهم ذات أهمية كبيرة مما حدد للخلفاء أعمالهم الوظيفية اقتصرت مهمتهم على كتابة التقارير الجغرافية عن الأمصار المفتوحة (۵۲)

وبكثرة رحلات التجار عند المسلمين توفرت كثير من المعلومات عن الأقطار التى يراد فتحها ومثال ذالک مارواه اليعقوبى عن طلب عمروبن العاص رضی اللہ عنہ لفتح مصر من الخليفة عمر بن الخطاب رضی اللہ عنہ وترغيبه فى ذلک فهو يقول: (۵۳)

''يا أمير المؤمنين تأذن لى أن أصير إلى مصر فإنا أن افتحناها كانت للمسلمين ، وهى من اكثر الأرض أولاً وأعجرة عن القتال''

لأنّنا نرى روايات كثيرة تدلّ على أن عمروبن العاص رضی اللہ عنہ يذهب إلى مصر بسبب اشتغاله بالتجارة قبل الإسلام كما وجدنا ذكرها فى كتاب فتوح مصر وأخبارها۔

وبا الإضافة إلى علم حكام الدولة الإسلامية بالبلدان فقد أرسل عمر بن الخطاب رضی اللہ عنہ رسالة إلى سعد بن أبى وقاص رضی اللہ عنہ يأمر فيها أن يصف له منازل المسلمين قبل المعركة القادسية كأنّه ينظر إلى أرض المعركة۔ (۵۴)

ورُبَما كنّنا ارجاع العناية بالأقاليم ووصفها بداية التأليف لأخبار الفتح والمغازى، يضاف إليه أن اتّساع الدولة الإسلامية تطلب الوصف والدراسة تمهيد التطبيق أحكام الشريعة ، وتسهيل لمهمة الولاة۔ (۵۵)

ويتضح لنا من جميع هذا البحث إختلاف أغراض الرحلة والإرتحال ، والتى فى جملتها افتزت لنا أدباًمميزاً يمكن أن نطلق عليه أدب الرحلة ، ولا شكّ أن فى امتع كتب الرحلات وأرفعها قيمة علمية وأدبية ، هى تلک التى قام أصحابها بتأليفها بسبب خروجهم للحج أو طلب العلم أو الإثنين معاً۔

وكانت حاضر العالم الإسلامى مركز علم واشعاع ، خاصة بمكة المكرمة ومدينة المنورة ، فكانت العلماءيقصد ونها بغية التزود بالعلم والمعرفة يفد إليهما الوافد من أقصى المغرب أو المشرق فيلتقى بعالم آخر من بلاد بعيدة عن بلاده ۔ فيحصل من هذا الإتقاء تقرب تفاهم واستزادة علم وامتداد المعرفة وانتشار الأفكار بين مختلف الأقطار الإسلامية ۔ (۵۶)

الهوامش

۱۔ الأفريقى ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور ،لسان العرب، ج/11 ،ص/276

۲۔ المصدر السابق ، ص/277

۳۔ المصدر السابق ، ص/278

۴۔ المصدر السابق أيضاً

۵۔ المصدر السابق ،ص/278

۶۔ المصدر السابق ،ص/279

۷۔ الفيروز آبادى : مجدد الدين محمد بن يعقوب العلامة اللغوى : القاموس المحيط ، ج /3، ص/394، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى هـ ۰۰۰م

۸۔ المصدر السابق ، ج/3 ،ص395

۹۔ الشامى صلاح الدين على (د): الرحلة عن الجغرافية البصرة فى الكشف الجغرافى والدراسة الميدانية، الطبعة الثانية ، للأسكندرية 1999ء ،ص/11

۱۰۔ المصدر السابق، ص/211

۱۱۔ القرآن الكريم، سورة القريش: 14/104

۱۲۔ دكتور جواد على (د)، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ج/7 ،ص/290

۱۳۔ عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية الأندلسية، ص/30

۱۴۔ القرآن الكريم، سورة ابراهيم: 37/16

۱۵۔ القرآن الكريم، سورة الكهف: 6075/18

۱۶۔ القرطبى، الجامع الأحكام القرآن، ج/11 ،ص/33

۱۷۔ المصدر السابق،ص ج/11 ،ص/16

۱۸۔ القرآن الكريم، سورة الجاثية:13/45

۱۹۔ القرآن الكريم، سورة الحج:27/22

۲۰۔ القرآن الكريم، سورة آل عمران:97/3

۲۱۔ القرآن الكريم، سورة البقرة:198/2

۲۲۔ القرآن الكريم، سورة الإسراء:66/17

۲۳۔ الأفريقى ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور ، لسان العرب، ج/11 ،ص/290

۲۴۔ الصحيح البخارى، إمام البخارى، بحاشية السندى، ج/1 ،ص/405

۲۵۔ المصدر السابق، ج/1 ،ص/406

۲۶۔ إبن ماجة: الإمام أبو عبدالله محمد بن يزيد القزوينى ,السنن ،ج/1، ص/9091

۲۷۔ إبن عبد البر ،جامع بيان العلم وفضله، ج/1 ،ص/111112

۲۸۔ الشامى ،صلاح الدين على الشامى (د): الرحلة عن الجغرافية البصرة فى الكشف الجغرافى والدراسة الميدانية، الطبعة الثانية ، للأسكندرية 1999ء،ص/11

۲۹۔ المصدر السابق،ص/125

۳۰۔ (القرآن الكريم، سورة الإسراء:1/17

۳۱۔ الأفريقى ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم إبن منظور ، لسان العرب، ج/14 ،ص/282

۳۲۔ القرطبى: الإمام محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح أنصارى، خزرجى، قرطبى، أندلسى، مالكى، الجامع الأحكام القرآن، ج/1 ،ص/212

۳۳۔ إبن حزم ،أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ،جوامع السيرة، ج/1 ،ص/240، دار الآفاق الجديدة، بيروت۔

۳۴۔ إبن هشام، عبد الملک بن هشام ، السيرة النبوية، ج/1 ،ص/231232

۳۵۔ إبن حزم ،أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، جوامع السيرة، ج/1 ،ص/55، دار الآفاق الجديدة، بيروت۔

۳۶۔ إبن هشام، عبد الملک بن هشام ،تهذيب سيرة إبن هشام، ج/1 ،ص/82

۳۷۔ أحمد الناجى، سيرة محمد رسول الله، ج/2 ،ص/39

۳۸۔ إبن هشام، عبد الملک بن هشام ،السيرة النبوية، ج/1 ،ص/348

۳۹۔ صحيح مسلم، إمام مسلم، ج/1 ،ص/187188

۴۰۔ إبن الأثير ،أبو الحسين على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم ، أسد الغابة، ج/2 ،ص/1439

۴۱۔ إبن ماجة: الإمام أبو عبدالله محمد بن يزيد القزوينى ،السنن ،ج/1، ص/79

۴۲۔ إبن هشام، عبد الملک بن هشام ، السيرة النبوية، ج/1 ،ص/222223

۴۳۔ إبن الأثير، أبو الحسين على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم، أسد الغابة، ج/5 ،ص/101

۴۴۔ إبن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، البداية والنهاية، ج/7 ،ص/37

۴۵۔ عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية الأندلسية ، ص/48

۴۶۔ البغدادى، أبو بكر أحمد على بن على الخطيب ، تاريخ بغداد، ج/2 ،ص/1516

۴۷۔ إبن حجر ،شهاب الدين أحمد بن على بن محمد الكنانى العسقلانى، هدية السارى، ص/486

۴۸۔ محمد محمود الصياد، رحلة إبن بطوطة، ص/78

۴۹۔ المسعودى، على بن الحسين بن على أبو حسين، مروج الذهب، ج/1، ص/144

۵۰۔ عواطف محمد يوسف، الرحلات المغربية الأندلسية ،ص/46

۵۱۔ عبد الرحمٰن حميدة، أعلام الجغرافين ومقتطفات من آثارهم ،ص/41

۵۲۔ البلوى، تاج الفرق، ج/1 ،ص/86

۵۳۔ اليعقوبى ،أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر العباس ، تاريخ اليعقوبى، ج/6، ص/147

۵۴۔ الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك، ج/2 ،ص/9

۵۵۔ أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص/1011

۵۶۔ المرجع السابق، ص/13